

الأمثل في تفسير كتاب الألباب

[138] الخلقة وعظيم الصنع والدقة ما يحيّر العقول والألباب. يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) بشأن خلقة هذا الحيوان الصغير: "إِنَّمَا ضَرَبَ الْإِنْسَانُ الْمَثَلَ بِالْبَعُوضَةِ لِأَنَّ الْبَعُوضَةَ عَلَى صِغَرِ حَجْمِهَا خَلَقَ الْإِنْسَانُ فِيهَا جَمِيعَ مَا خَلَقَ فِي الْفِيلِ مَعَ كِبَرِهِ وَزِيَادَةِ عُضْوَيْهِ آخِرَيْنِ وَأَوَّلَيْنِ" (لَطِيف) خَلَقَهُ وَعَجِيبَ صُنْعَتِهِ" (1). يريد الألباب سبحانه بهذا المثال أن يبين للمؤمنين دقة الصنع في الخلق، التفكير في هذا الموجود الضعيف على الظاهر، والشبيه بالفيل في الواقع، يبين للإنسان عظمة الخالق. خرطوم هذا الحيوان الصغير يشبه خرطوم الفيل، أجوف، ذو فتحة دقيقة جداً، وله قوة ماصة تسحب الدم. منح الألباب هذا الحيوان قوة هضم وتمثيل ودفع، كما منحه أطرافاً وأذناً وأجنحة تتناسب تماماً مع وضع معيشته. هذه الحشرة تتمتع بحساسية تشعر فيها بالخطر بسرعة فائقة وتفرّ عندما يداهما عدوٌّ بمهارة عجيبة، وهي مع صغرها وضعفها يعجز عن دفعها كبار الحيوانات. أمير المؤمنين عليه السلام يقول في هذا الصدد: "كَيْفَ وَلَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا وَمَا كَانَ مِنْ مُرَحِّهِا وَسَائِمِهَا، وَأَصْنَافِ أَسْنَانِهَا وَأَجْنَسِهَا، وَمُتَبَدِّلِدَةِ أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا، عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَّرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّيْلِ إِلَى إِيجَادِهَا، وَلَتَحْيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ، وَعَجَزَتْ قُورَاهَا وَتَنَاهَتْ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً، عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ، مُقَرَّرَةٌ بِالْعُجْزِ عَنْ إِشَائِهَا، مُذْءَنَةً بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا" (2).

1 - تفسير البرهان، ج 1، ص 72، 2 - نهج